

## دراسة الخطبة الجهادية لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) على ضوء نظرية الأفعال الكلامية<sup>١</sup>

إنسية طالبي \*

### الملخص

إن التداولية في مرحلة نضجها شاهدت حضور علماء كبار مثل أوستين وسييرل، خاصة جون سيرل هو الذي قدم منهجا إجرائيا مكتملا بوضع عناصر تحليل الخطاب بتطوير نظرية الأفعال الكلامية لأوستين. يقوم هذا البحث بدراسة الخطبة الجهادية محددًا الأفعال الكلامية المستخدمة فيها. وبالنظر إلى عدد مرات تكرار الأفعال الكلامية الخمس وأغراضها الحرفية والإنجازية وسياق الخطبة المذكورة، وبالوصول على إحصائيات تقدم تحليلات متعلقة بطرفي الاتصال في الخطبة؛ إذ تؤكد الدراسات التداولية على أهمية تأثير العمل الأدبي بأحوال طرفي الاتصال. من الالفت للنظر، عدد مرات الغرض الإنجازي، إذ اختص ٩٣ في المائة من أفعال الخطبة الكلامية بالغرض الإنجازي وهو الغرض غير المباشر، فهذا من فنون أهل الأدب، فلا يتحدثون عما في ضميرهم بشكل مباشر، بل يختارون طريقة تؤدي إلى تفكير المخاطب. ومن بين الأغراض الإنجازية، اختص الحد الأقصى للغرض التعبيري، حيث يدل على شكوى الإمام علي (عليه السلام) عن الناس لعدم متابعة أوامره للجهاد. ويجلس الغرض الالتزامي والإعلاني في المرتبة الأخيرة دون بيانها في الخطبة ولو مرة واحدة، حيث لا يقصد الإمام علي (عليه السلام) بيان التزامه بأي شيء للناس، كما لا ينوي الإعلان عن أمور أو ظروف جديدة في الخطبة المذكورة.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الفعل الكلامي، السياق، المعنى، الخطبة الجهادية.

### المقدمة

إن الفلاسفة وأهل اللغة منذ قديم الزمن، كانوا يكتبون كتبًا ومقالات متعددة، بحثًا عن المعنى مقدمين نظريات مختلفة. وفي الأعمال اللغوية المعاصرة، نرى هذه الجهود تشكلت في مرحلتين: أما المرحلة الأولى فهي النظريات التقليدية وغير التطبيقية عن استنتاج المعنى ودركه، إذ يقسمها صفوي في كتابه علم المعنى التطبيقي إلى فرعين: ١. النظريات التي تلازم علماء مثل جون

١- تاريخ التسلم: ١٣/٩/١٣٩٣هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣/٧/١٣٩٤هـ. ش.

لوك<sup>١</sup>؛ ٢. النظريات التي تُذكر مع أسماء بعض العلماء لعلم المعنى مثل بيرتراند راسل<sup>٢</sup> وجورج إدوارد مور<sup>٣</sup>. وإنما قاموا بالتنظير عن درك المعنى، وتركوا أبعاده التطبيقية، لأنهم يرون ماهية المعنى شيئاً مستقلاً عن ظروف اللغة التطبيقية (صفوي، ١٣٩٢، ص ١٥١).

أما المرحلة الثانية في مجال علم المعنى، فهي تشتمل على النظريات التطبيقية والفسانية. ومن النظريات التطبيقية الشهيرة نظرية الأفعال الكلامية. وفي مجال علم المعنى النفسي علينا الحديث عن نظرية غرايس<sup>٤</sup> (١٩١٣ - ١٩٨٨). هاتان المرحلتان هما المرحلتان لتبيين المعنى العيني والمعنى الذهني (عبدالله، ١٣٨٤، ص ١٠٨). ويتجلى تبيين المعنى العيني في نظرية الأفعال الكلامية<sup>٥</sup>، وهي تلازم اسم جون لانجشو أوستين<sup>٦</sup> (١٩٦٠ - ١٩١١) وجون سيرل<sup>٧</sup> (١٩٣٢). في الحديث عن أهمية هذه النظرية، يمكننا الإشارة إلى وجهة نظر فاندرفيكن وكوبو، وهما يعتقدان ضرورة هذه النظرية في تطور العلوم المرتبطة باللغة (Vanderveken & Kubo، ٢٠٠١، ص ١٨).

أما السبب لاختيار الخطبة الـ ٢٧ من كتاب نهج البلاغة، وهي مشهورة بالخطبة الجهادية، فهو يكمن في كونها من الخطب الأخيرة، كما هي آخر خطبة للأمير المؤمنين (عليه السلام) عن الحرب، وهي من أبلغ الخطب عن الحرب وتشجيع الناس على الجهاد. ويدلنا كلام الإمام علي (عليه السلام) وتحليل أفعال الكلام في الخطبة على ما قام به الكوفيون والناس طوال خلافته تجاه قضية الحرب مع الأعداء. وتوصلنا هذه النقطة إلى أهمية الخطبة وتحليلها.

أما الأسئلة التي تريد المقالة الإجابة عنها فهي كالتالي:

١. ما هي الأغراض الإنجازية التي استخدمها أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخطبة؟
  ٢. يتعلق الحد الأقصى والأدنى بأية أغراض؟
  ٣. ما هو السبب الفكري خلف استخدامهما أكثر أو أقل؟
  ٤. هل يدلنا استخدام الأغراض الإنجازية على أفكار المتكلم والمخاطب؟ إذا كان الجواب إيجابياً فكيف يقوم بهذه الوظيفة في الخطبة؟
  ٥. كيف يساعدنا السياق في تحليل الأفعال الكلامية للخطبة الـ ٢٧ لأمير المؤمنين؟
- وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى قسمين؛ أما القسم الأول، فقد خصص لتبيين المفاهيم العامة للمصطلحات اللسانية المتعلقة بالبحث، أي التداولية، ونظرية الأفعال الكلامية من وجهة نظر أوستين وسيرل، ثم نتحدث فيه عن السياق ودوره في تبيين المعنى. أما القسم الثاني فهو تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على الخطبة الـ ٢٧ من نهج البلاغة، فنسعى من خلال هذا القسم إلى

1. John Locke  
 2. Bertrand Russell  
 3. George Edward Moore  
 4. Paul Grice  
 5. Speech act theory  
 6. John Langshaw Austin  
 7. John Searle

تحليل الخطبة باحتساب عدد مرات تكرار الأغراض الخمسة للأفعال الكلامية، والأغراض الحرفية والإنجازية، ثم نحلل الخطبة وفقا للأعداد المذكورة، وبالنظر إلى طرقي التواصل وهو المتكلم والمخاطب والسياق المتعلق بالخطبة. وأخيرا ينتهي البحث بخاتمة نذكر فيها أهم نتائج البحث.

### خلفية البحث

الأفعال الكلامية من المواضيع التي تطرح في علوم متعددة كاللسانيات والعلوم الاجتماعية والسياسية. وتقوم اللسانيات بدراستها في فروعها المختلفة. وهناك كثير من المقالات التي تكتب في مجال تعليم اللغة أو دراسة فعل كلامي خاص بين المتكلمين بلغة ما. إذا أردنا أن نذكر بعض البحوث في بلدنا، وهي في مجال مشترك مع بحثنا، علينا الإشارة إلى بعض البحوث في مجال العلوم السياسية مثل مقالة دراسة الأفعال الكلامية لرئيسين أحمددي نجاد وأوباما في مؤسسة الأمم المتحدة، حيث تطرق بها بهلوان نجاد (١٣٧٨)، وفي مجال العلوم الدينية نرى بحث بهلوان نجاد (١٣٨٩)، وهو تحليل زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) على ضوء نظرية الأفعال الكلامية. وكذلك تطرق فضائلي ونكارش (١٣٩٠) بتحليل الخطبة الـ ٥١ من نهج البلاغة على ضوء نظرية سيرل، والمقال المذكور من المقالات الجيدة إلا أنه لم يراع بعض الميزات المتعلقة باللغة العربية في تحليل الخطبة مما أدى إلى عدم الدقة (كما نرى عدم الدقة في مثل هذه الجزئيات في المقالات التي تعالج النصوص العربية في بلادنا هذا)، وهذا ما جاء في جدولنا عن الأفعال الكلامية. وفي مجال العلوم الأدبية، يمكن الإشارة إلى بحث لزرقاني وأخلاقي (١٣٩١) في دراسة الشطحيات. ومنهج بحثنا هذا قريب من منهج بعض البحوث المذكورة، أي باحتساب رقم تكرار الأفعال الكلامية بتحليل النصوص المذكورة. ويتميز هذا المقال بتقسيمات عديدة لأغراض الأفعال الكلامية، كما أنه يعالج أركان السياق معالجة أخصائية وفق ما قدمه علماء اللسانيات مؤخرا، وهي تساعدنا في تحليل ما يتعلق بطرقي الاتصال، ولهما دور كبير في عملية تحليل الخطاب. وطبعاً، كتبت كل هذه البحوث بالفارسية، ولم يكتب في بلدنا مقال بالعربية، على حسب معرفة المؤلف. وطلاب فرع اللغة العربية وآدابها يحتاجون إلى التعرف على مصطلحات هذا الفرع الجديد من السيميائيات. ولم يترجم المؤلف المصطلحات والتعاريف من جانب نفسه، بل تعرف عليها بمطالعة الكثير من الكتب والمقالات المنشورة في الملتقيات الدولية.

### التداولية<sup>١</sup>

يقول أبرامز<sup>٢</sup>، إن التداولية كانت رائجة بين النظريات الأدبية في الماضي، ويمكننا أن نؤرخ لها منذ القدم. وتعود كلمة برغمتيك إلى برغمتيكس بالمعنى العملي، والنقد (التداولي) المبني على التأثير<sup>٣</sup> هو من أنواع النقود التي تنظر إلى التأثيرات الجمالية والتعليمية والتعبيرية على المخاطب كأهداف الأثر الفني (أبرامز وهرفم، ١٣٨٧، ص ٨٣). أما هذا المصطلح بمعناه الحديث، فاستخدمه تشارلز موريس<sup>٤</sup> (١٩٧٩-١٩٠١) لأول مرة، فقسّم السيميائيات إلى ثلاثة أقسام: النحو، والدلالة، والتداولية. إنها قد ظهرت ردًا على قصور باقي أفرع اللسانيات كالبنوية، والتوليدية - التحويلية. وواكبت الدراسات التداولية التحولات الجذرية في المشهد النقدي

2. Meyer Howard Abramsd

3. Pragmatic Criticism

4. Charles William Morris

العالمي، و«انتقاله من دراسة أنساق البنية اللغوية المغلقة للأعمال الأدبية إلى التأكيد على تأثير العمل الأدبي بأحوال أطراف الاتصال، وأهمية استحضار دور السياق في تصحيح عملية التلقي والتأويل» (البحيري، ١٤٢٢هـ، ص ٧٧٠).

في الحقيقة، في ذلك الزمن وصل علم اللسانيات إلى هذه النتيجة أنه «لم تعد مهمة علم اللغة النظر إلى اللغة بوصفها نظاما من الرموز واثتلافه، أو مستوى من التركيب يعد أساسا لكل ما ينطق به وحسب، وإنما غدا موضوع علم اللغة الوقائع الكلامية ذاتها بوصفها نشاطا كلاميا إنسانيا، هذه الوقائع تشكل إطار التحليلات اللغوية» (سليمان عليان، ١٤٣٢هـ، ص ٨١٤). كما يرى كريستال<sup>١</sup> (١٩٩٧) أن التداولية هي دراسة اللغة بالنظر إلى مستخدميها خاصة اختياراتهم، والقيود التي يواجهونها في تواصلاتهم الاجتماعية حين استخدام اللغة، وتأثيراتهم على سائر المتكلمين باللغة حين التواصل (Martinez-Flor & Uso-Juan، ٢٠١٠م، ص ٥).

إن «التداولية تتجاوز محددات الدلالة إلى دراسة مدى إمكانية الكشف عن قصيدة المتكلم من خلال إحالة الجملة إلى السياق لمعرفة مدى التطابق أو عدم التطابق بين دلالة الجملة لسانيا وظروف السياق [...] للكشف عن مجموعة القوانين العامة التي تتحكم بتحديد دلالة المنطوق سياقيا» (الحيالي والنجار، ٢٠٠٨م، ص ٦٤)، وفقا لما قلنا من التعاريف والمواصفات للتداولية، نستنتج تأثير علوم مختلفة كعلم الاجتماع، والفلسفة، والمنطق، وعلم النفس، وأيضا سائر أفرع اللسانيات على هذا العلم الحديث. ومن أهم النظريات للتداولية في مرحلة اكتمالها نظرية الفعل الكلامي، ويعتبر علماء السيميائيات أوستين رائد هذه النظرية.

## نظرية الفعل الكلامي<sup>٢</sup>

رائد نظرية أفعال الكلام هو أوستين، وهو أستاذ فلسفة الأخلاق في جامعة أكسفورد. إنه من روّاد فلسفة اللغة. لم تنتشر نظريته طوال حياته، ودُوّن كتاب "كيف نصنع الأشياء بالكلمات" بعد موته سنة ١٩٦٢م. وهو مجموعة من محاضراته.

إن نظرية أوستين ردّة فعل أمام ثلاثة أصول لنظرية فلاسفة الوضعية المنطقية إلى اللغة: ١. فيرى فلاسفة الوضعية المنطقية أن اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم بجملة إخبارية؛ ٢. فالجملات الإخبارية هي الجملات الرئيسية للغة؛ ٣. ويمكن تحديد صدق جملات اللغة أو كذبها. ينكر أوستين هذه القواعد، ويرى أن وظيفة اللغة ليست إيصال المعلومات وحسب، بل للغة وظائف أخرى مثل الأمر والنهي والاستفهام والتمني والقسم وغيرها، وأيضا هناك نوع من العبارات الإخبارية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب (صفوي، ١٣٩٢ش، ص ١٥٥).

ويستخدم أوستين مصطلح الفعل الكلامي بدل الجملة، وهنا يعني الفعل الكلامي الجملة التي تحتوي على فعل كلامي، ولها مواصفات تميزها من الجملة.

في المرحلة الأولى يقسم الفعل الكلامي إلى نوعين: الإخبارية والأدائية (الإنشائية)<sup>٣</sup>. إنه يعتقد بأن الأفعال الإخبارية هي الأفعال التي تصف وقائع العالم وتخبر عنها، ويمكن إجراء الحكم بالصدق أو الكذب عليها. لكن الأفعال الأدائية هي الأفعال التي لا تخبر، وأيضا لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب. فمثلا حينما نقول «نجح زيد في الامتحان»، هذا الفعل يمكن الحكم عليها

1. Crystal

2. Speech Act Theory

3. How to Do Things with Words

4. Constatative

5. Performative

بالصدق أو الكذب، وبالنظر إلى زيد في العالم الواقع نستنتج أنه نجح أم لا. لكن في قولنا «أراهن على نجاح زيد في الامتحان» لم يقع شيء في العالم الواقع حتى نحكم عليها بالصدق أو الكذب. ففي الزمرة الثانية أي الأفعال الإنشائية، إذا وقع كلام المتكلم في العالم الواقع فيقع الفعل في حالة النجاح أو التوفيق<sup>١</sup>، وإذا كان الفرد في ظروف لم يقع كلامه فيقع الفعل في حالة الإخفاق<sup>٢</sup>.

يرى أوستين أفعالا مثل «الوعد والعذر والشكر والتوبيخ والقبول والتهنئة...» من زمرة الأفعال الكلامية، إذ إنها تحتوي على فعل وعمل. ويرى أوستين شروطا أخرى للأفعال الكلامية، فمنها ابتداء الجملة بضمير «أنا»، وكون الفعل في الجملة في زمن المضارع، وذكر فعل أو عمل بعده، مثل: «أنا لبهذا الطريق» أعدكم بأن أدرس من الأسبوع الآتي». كما نرى، أبتدئت الجملة بضمير أنا، وهي تحتوي على الفعل (الوعد) من الأفعال الكلامية، ثم ذكر المتكلم العمل الذي يريد أن يقوم به وهو الدراسة. طبعاً، لا تراعي جميع الأفعال الكلامية الشروط المذكورة، فنحتاج إلى تصنيف آخر للأفعال الكلامية، وهو المباشرة وغير المباشرة.

### الأفعال الكلامية المباشرة<sup>٣</sup> وغير المباشرة<sup>٤</sup>

قد قام أوستين بالتمييز بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة. الفعل الكلامي المباشر هو الحدث الكلامي أو الخطاب الذي يدل عليه ملفوظ معين دلالة مباشرة وحرفية (لاينز، ١٣٩١، ص ٣٣٤). بعبارة أخرى الفعل الكلامي المباشر هو الفعل الذي فاعله ضمير أنا، والفعل هو الفعل المضارع، كالفعل الكلامي التالي «أنا أعد أن أطالع الكتاب»، فالفعل هنا مباشر، لكنه في «أطالع الكتاب» غير مباشر، بما أنه لا يحتوي على لفظ «أعد» الذي يدل على القيام بفعل مباشر. يجدر بالذكر أن الفاعل من الموضوعات التي تختلف في اللغة العربية والإنجليزية، فالفعل في «أطالع الكتاب» يحتوي على الفاعل وهو ضمير أنا المستتر فيه وجوبا، ففي أي حال تحتوي الجملة على الفاعل.

ربما يخطر ببال المخاطب أن هذا التقسيم يعود إلى معنى الأفعال الكلامية، وإذا اختلفت غرضها عن ظاهرها فهو الفعل الكلامي غير المباشر. فعلى أن نقول إن تقسيم الفعل الكلامي إلى المباشر وغير المباشر وفقا لما قلناه، وفي المرحلة الأولى، لا يرتبط بالغرض، بل يقسم إلى المباشر وغير المباشر دون النظر إلى غرضه، وفقا لظاهر الفعل الكلامي، لكن للأفعال الكلامية تقسيم آخر إلى المباشر وغير المباشر من حيث الغرض، وتختلف التسمية في هذا التقسيم، وهما الغرض الحرفي والغرض الإنجازي. الغرض الحرفي هو المفهوم المباشر للفعل الكلامي الذي يمكن الوصول إليه دون النظر إلى السياق، وأحيانا يختلف غرض الفعل الكلامي في سياقات مختلفة. في هذا النوع من الغرض لا يختلف قصد المتكلم عن ظاهر ما يتلفظ به.

والغرض الإنجازي هو الغرض غير المباشر للفعل الكلامي، فيتلفظ المتكلم جملة، لكنه ينوي شيئا آخر، وغرضه من بيان الجملة هو الغرض الإنجازي. وفي الخطبة التي نريد دراستها نرى كثيرا من الأفعال الكلامية، ويختلف فيها الغرض الإنجازي عن الغرض الحرفي.

1. Felicitous
2. Infelicitous
3. Explicit
4. Primary

## أنواع الفعل الكلامي من وجهة نظر أوستين

قسّم أوستين الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أفعال فرعية:

١. **الفعل القولّي**<sup>١</sup>: الفعل القولّي أو اللفظي هو إطلاق الألفاظ بشكل جمل مفيدة ونحوية. يتناسب بعض الجمل مع القواعد الصرفية والنحوية، ولا يتناسب بعضها مع تلك القواعد، وإن هي مقبولة. في دراسة الأفعال الكلامية نظر إلى الأفعال التي هي مقبولة من جهة القواعد الصرفية والنحوية.

٢. **الفعل الإنجازي**<sup>٢</sup>: هو أثر الفعل على المخاطب؛ فالمخاطب يتأثر بقول المتكلم، فنوضحه في المثال التالي أكثر، حتى يتبين الأمر أفضل.

٣. **الفعل التأثيري**<sup>٣</sup>: إنه ردة فعل المخاطب بعد تأثير الفعل الإنجازي عليه بإطلاق الفعل اللفظي.

فالأفعال الثلاثة في قولنا «أنا أعدد أن آتي معك إلى الجامعة» كالتالي: إطلاق ألفاظ هذه الجملة هي الفعل اللفظي، فيثوق المخاطب بأن المتكلم يأتي معه إلى الجامعة. وعلى أساس قول المتكلم، يهيم المخاطب نفسه للذهاب إلى الجامعة، وهذا هو النتيجة لتأثير قول المتكلم على المخاطب فيسمى فعلاً تأثيرياً. إن ركيز نظرية أوستين هو الفعل الإنجازي، فركز جهوده على هذا الفعل من بين الأفعال الثلاثة. وقد قام سيرل بتغييرات جذرية على نظرية الأفعال الكلامية، ووضع أسساً ومقاييس منهجية لها، فلا نتحدث عما قام به أوستين أكثر من هذا، ونأتي بتوضيحات أكثر تفصيلاً عما قام به سيرل لتطور نظرية الأفعال الكلامية.

## الأفعال الكلامية من وجهة نظر جون سيرل

إن أوستين، كما قلنا سابقاً، كان مركز انطلاق النظرية، وقام جون سيرل بتطوير نظرية أستاذه، وأكمل مساعي أوستين وأفكاره باقتراح بعض التعديلات فيها بنشر كتابه "الأفعال الكلامية" سنة ١٩٦٢. إنه أدام جهوده حتى الآن، ولنظريته أهمية كبيرة في البحوث الفلسفية واللغوية والاجتماعية. غدت هذه النظرية فرعاً هاماً للنظرية اللغوية المعاصرة، ولسيرل وغرايس أهم دور في المجال هذا. فنظريتهما هيأت الأرضية للبحوث عن الفلسفة والإنسان والعلوم المختلفة في مجال المعنى والاتصال (Vanderveken & Kubo، ٢٠٠١م، ص ٤).

يقسم جون سيرل الأفعال الكلامية إلى أقسام متنوعة، وأنواعها أكثر من تقسيمات أستاذه. يتحدث سيرل عن اثني عشر بُعداً، لكنه يستخدم أربعة أبعاد لتفصيله، وهي: «الغرض الإنجازي<sup>٥</sup>، (التناسب)<sup>٦</sup> للتناسب بين الكلمات المستخدمة والعالم الواقع المرتبط بها، والحالة النفسية<sup>٧</sup> والمحتوى<sup>٨</sup>» (فضائلي ونكارش، ١٣٩٠، ص ٨٩). الغرض الإنجازي هو غرض المتكلم من بيان الفعل الكلامي. يدلّ

1. Locutionary act
2. Illocutionary act
3. Perlocutionary
4. Speech Acts
5. Illocutionary point
6. Fit
7. Psychological state
8. Content

التناسب على تناسب اللغة مع العالم الواقع. وتتحدث الحالة النفسية عن وضع المتكلم النفسي. وفي النهاية، يشير المحتوى إلى المحتوى الحاكم على الفعل الكلامي.

أما الأقسام الخمسة للأفعال الكلامية فهي:

١. الإخباريات (الأفعال التمثيلية، التأكيدات)<sup>١</sup>: في هذا الفعل يصف المتكلم ما يقع في العالم، فيمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب. من أمثلة هذا القسم هي: البيان، الرد، والإعلان، والإجابة، والتأييد، والوصف، والتقسيم، وغيرها.

٢. التوجيهات (الأفعال التوجيهية، الأوامر)<sup>٢</sup>: وهي الأفعال التي تمثل محاولة المتكلم لتوجيه المستمع للقيام بعمل ما، ومن أمثلة هذا الصنف: النصح، والاستعطاف، والسبح، والتمني، والسؤال، والتوصية، وغيرها.

٣. الالتزامات (الأفعال الالتزامية، الالتزامات)<sup>٣</sup>: الغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو الالتزام بفعل ما في المستقبل. وأمثلتها كالتالي: الالتزام، والوعد، والتقديم، والضمان، وغيرها.

٤. التعبيريات (الأفعال التعبيرية، التصريحات)<sup>٤</sup>: إن الغرض الإنجازي لهذا النوع هو التعبير عن المواقف النفسية تجاه ما يقع في العالم. ومن أمثلته: المواساة، والشكر، والترحيب، والغضب، والتهنئة، والإهانة، وغيرها.

٥. الإعلانات (الأفعال الإعلانية، الإدلاءات)<sup>٥</sup>: الغرض الإنجازي لها هو إعلان ظروف جديدة للمخاطب. وأمثلة هذا الصنف كالتالي: الإعلان، والانتصاب، والعقد، والتسمية، وغيرها.

وفي تقسيم آخر، اقترح سيرل تصنيف الأفعال الكلامية إلى صنفين وهما:

١. الأفعال الكلامية البسيطة<sup>٦</sup>: وهي الأفعال التي يقصد فيها المتكلم معنى واحداً، فهو المعنى الحرفي له أو المعنى المباشر.

٢. الأفعال الكلامية المعقدة<sup>٧</sup>: وهي الأفعال التي ينوي فيها المتكلم المعنى الحرفي والمعنى المستلزم له، وهو يختلف عن المعنى الحرفي. فلها معنيان أو بضع معان.

فوضح هذين النوعين في المثال التالي: يقول زيد لصديقه: "رافقني إلى الحديقة غداً". فيجيب صديقه: "لأقدر على المجيء، فلدي امتحان" أو "لدي امتحان". في الإجابة الأولى يساوي المعنى الحرفي للفعل الكلامي قصد المتكلم، فرفض مرافقة صديقه، وأتى بسبب لعدم قبوله. فهذا الفعل من النوع الأول، وهو البسيط. أما الإجابة الثانية فهي من النوع الثاني، لأن المتكلم لم يتحدث عن القبول أو عدم القبول مباشرة، وقال له لدي امتحان، فلماذا للقول معنيان: المعنى الحرفي أي له امتحان، والمعنى غير الحرفي أو غير المباشر، فهو عدم قبول مرافقة زيد. فيسمى الفعل الكلامي معقداً.

1 . Representative act

2 . Directive act

3 .Commissive act

4 .Expressive act

5 .Declarative act

6 .Simple speech act

7 .Complex speech act

## ما هو السياق؟

تظهر قدرة الفعل الكلامي في شيئين: ١. قصد المتكلم ٢. العلائم اللغوية، وهي تُستخدم لتبيين قصد المتكلم. وهذان الأمران تابعان لظروف وأصول. فإذا تحققت تلك الظروف والأصول، فيقع الفعل الكلامي وقوعاً تاماً (عبدالله، ١٣٨٤، ص ١٠١).  
 يمكننا القول إن مصطلح السياق يطلق على نوعين: ١. الداخلي أو المقالي أو اللغوي<sup>١</sup> و٢. الخارجي أو المقامي أو الموقف<sup>٢</sup>.  
 الأول هو الارتباط بين صورة كل واحد لغوي ومعناه، ويقع الارتباط في ذهننا. والمعنى هو مصداق للعالم الخارج أو ذهننا. كما أن السياق الداخلي يمثل خزاناً للمعلومات، وهو يملأ بالجملة فيستخدم في طريق الاتصال (صفوي، ١٣٩٢، ص ٦٠). فنرى في الجملتين التاليتين تأثير السياق الداخلي: "سألني زيد عن الدرس الجديد. فقلت له كل ما تعلمت في الصف". فاستخدم المتكلم مفردة "زيد" لأول مرة، لكنه في الجملة التالية استخدم الضمير بدل "زيد"، لأن المخاطب يعلم أن المتكلم يتحدث عن زيد، فعنده معلومات تتعلق بالسياق الداخلي، فلا يحتاج إلى تكرارها. يرى علماء البنيوية الأهمية للسياق الداخلي لا الخارجي. والسياق المقامي هو الارتباط بين صورة كل واحد لغوي وبين مصداقه الخارجي. يقدم مايكل هالدي<sup>٣</sup> تعريفاً للسياق وهو يعبر عن السياق المقامي أكثر من السياق اللغوي، فيقول: إن السياق «هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يسبب ربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية» (نور عوض، ١٤٠١هـ، ص ٢٩).

إن السياق الداخلي والخارجي يحتاجان إلى البعض لكي يكتمل درك القارئ عن السياق، وكل واحد منهما منفصلاً عن الآخر لا يشير إلى كافة الأمور التي نحتاج إليها في درك المعنى. وسبب الأمر هو ماهية اللغة، ففي انتقال الرسائل تغفل بعض الحقائق (صفوي، ١٣٩٢، ص ٦٠). فقد تغيرت الدراسات عن السياق منذ ابتدعه عالم الأنثروبولوجيا<sup>٤</sup> مالفينوسكي<sup>٥</sup> (١٨٨٤ - ١٩٤٢م). فاعتبر السياق المقامي أحد أهم العوامل الحاكمة على تحليل النص من العقد ١٩٧٠م. ولعل فيرث<sup>٦</sup> أول من اهتم بالسياق باعتباره نظرية متكاملة. وهامز<sup>٧</sup> وسادوك<sup>٨</sup> من الذين حاولوا لتطور الدراسات السياقية.

من وجهة نظر هامز عناصر السياق هي كالتالي: المتكلم<sup>٩</sup>، والمخاطب<sup>١٠</sup>، والموضوع<sup>١١</sup>، والأشياء المحيطة بالحدث<sup>١٢</sup> (الزمان والمكان)، والوسيلة<sup>١٣</sup> اللغوية نطقاً أو كتابة، وأسلوب النص (نوع الكلام اجتماعياً من حيث الرسمية وعدمها)، ونوع النص<sup>١٤</sup> من

1. Co-text
2. Context of situation
3. Michael Halliday
4. Anthropology
5. Bronislaw Kasper Malinowski
6. J. R. Firth
7. D. Hymes
8. J. M. Sadock
9. Addressor
10. Addressee
11. Topic
12. Setting
13. Channel
14. Message form



حيث كونه سرديا وغير ذلك (النوع الأدبي مثلا)، والحدث<sup>١</sup>، والمشاركون<sup>٢</sup> في الحدث من حيث المستوى الاجتماعي والثقافي وعلاقة كل منهم بالمتكلم أو المخاطب (السامع)، والمفاتيح<sup>٣</sup> للتقييم، والغاية<sup>٤</sup> التي يساق لها النص (الغرض) كالإخبار والوصف والطلب. اقترح التداوليون أمورا أقل أو أكثر مما ذكر هائمز. وإن لم يستخدم سيرل جميع هذه الأمور، نستخدم عناصر هائمز في هذا المجال، لأن دراسات هائمز تتسم بدقة أكبر بين الذين قاموا ببحوث سياقية.

## تحليل الخطبة

### السياق المقامي للخطبة

في تحليل الخطبة، ندرس السياق المقامي أولا، ونحدد العناصر التي ذكرها هائمز في الخطبة الجهادية:

المتكلم: هو أمير المؤمنين علي (عليه السلام)؛

المخاطب: هم الكوفيون أو الذين أهملوا إطاعة أمر الإمام علي (عليه السلام)؛

الموضوع: الشكوى عن العراقيين، لإهمالهم الدفاع عن الوطن، وتشجيعهم على النهوض؛

الأشياء المحيطة بالحدث (الزمان): لتبيين الحدث الزمني نذكر مجملا الحوادث المختلفة السياسية قبل إيراد الخطبة، وخاصة الحملات التي شنتها أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام). إن الظروف الاجتماعية لها دور هام في تحليل النص، فالعمل والكلام وجهان لعملة واحدة، فيؤدي هذا الأمر إلى ثلاث نتائج: ١. معنى الكلام هو العمل أو الدور الذي يلزم الكلام؛ ٢. لا يمكن انفصال العمل والكلام عن البعض؛ ٣. لأن كل عمل يقع في ظروف خاصة، فتحليل النص أيضا، تابع للظروف الاجتماعية (بارحمدي، ١٣٩١، ص ٦).

زمن إيراد الخطبة سياسيا، بعد معارك الجمل والصفين والنهروان، فبعد حرب النهروان، استمر القتال مع الخوارج في مناطق عديدة. السنة ٣٨ هـ.ق؛ أي العام الثالث لخلافة الإمام علي (عليه السلام) هي سنة القتال مع فرق الخوارج. أرسل معاوية عام ٣٩ هـ.ق جنوده إلى نقاط عديدة كانت قريبة من كوفة أو بعيدة عنها، مثل عين التمر وغيرها. والمحافظ لعين التمر كان مالك بن كعب. فدافع عن المدينة مع مائة جندي، فطلب الإمام علي (عليه السلام) أن يقدمه المساعدة، وخطب الإمام بين الناس في كوفة خطبة ودعاهم إلى الدفاع عن المظلومين، إلا أنهم أهملوا الأمر. وفي النهاية، كان النجاح لجنود علي (عليه السلام) بوصول جنود أخرى إلى عين التمر، فساعدوا مالكا أمام جنود معاوية. أما معاوية، فأرسل جنودا إلى مناطق أخرى مثل تيماء وثعلبية وقطقطانة ومكة وهيت والأنبار. انتصر قوات الإمام علي (عليه السلام) في الحملات الأولى، فلم تصل قادة الشام إلى غاياتهم، إلا أن آخر هجوم شن على هيت، حدث قبل إيراد هذه الخطبة.

كان سفيان يهدف إلى احتلال مدن هيت والأنبار والمدائن، ونهب أموال الناس. فمدينة هيت كانت خالية عن الناس والأموال، فاتجه جيشه نحو الأنبار. ما كان يدافع عن الأنبار أكثر من ثلاثمائة جندي، لأن كميل بن زياد، وهو محافظ المدينة، أرسل جيشه إلى

1. Event

2. Audience

3. Key

4. Purpose

الأخبار للمساعدة، دون استشارة أمير المؤمنين (عليه السلام). فاستشهد كميل والكثير من أنصاره، ونهب الناس، ولم يترك الأعداء حتى زينة النساء عند الهجوم عليهم (شهابي، ١٣٧٧، ص ٣١٣-٣٠٩). فقام الإمام علي (عليه السلام) بإيراد الخطبة، وهي الخطبة الجهادية. المكان: مكان هذه الخطبة هو مدينة الكوفة، وهي عاصمة خلافة الإمام علي (عليه السلام)؛ الوسيلة اللغوية: اللغة العربية الفصحى نطقاً؛

أسلوب النص: توبيخ الناس؛

الحدث: خطبة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) للناس في الكوفة؛

المشاركون: الكوفيون هم المخاطبون لهذه الخطبة ومشاركوها في ذلك الزمن. وإذا نظرنا إليها نظرة دقيقة، فعلينا أن نقول إن هذه الخطبة لجميع المسلمين في العالم في أي زمن يسمعون غارات الأعداء على المسلمين.

مفاتيح التقييم: يعلم الإمام علي (عليه السلام) أن الكوفيين يستيقظون من نوم الغفلة بسماع هذا العتاب. ولهذا العتاب أنواع وأشكال مختلفة طوال زمن شن هجوم على حدود البلد، وذلك الزمن اشتد عتاب الإمام (عليه السلام)، لكي ينهض الناس أمام قوات الشام. الغاية: من غايات الإمام التوبيخ والترغيب: توبيخ الكوفيين على إهمالهم وفرارهم من الجهاد في سبيل الله، ولديهم أعداؤهم المختلفة، في نفس الوقت ترغيبهم إلى القتال مع قوات الأعداء للدفاع عن الوطن.

### تحليل الأفعال الكلامية في الخطبة

نقسم الخطبة إلى ثلاثة أقسام: فالقسم الأول يختص بالجهاد بشكل عام، وهو على جزئين: في الجزء الأول يبين الإمام (عليه السلام) مواصفات الجهاد الإيجابية، وفي الجزء الثاني يتحدث عن عواقب ترك الجهاد والأضرار التي يواجهاها الناس عند ترك هذا الأمر الهام. وفي القسم الثاني، أولاً: يشكو الإمام عن الناس لعدم سماع أمر إمامهم، ثم يصف الحرب وكيفية استشهاد محافظ قوات الأنبار، فيتحدث عن كيفية حال الناس حين الغارة عليهم، وخاصة عن نهب حلي النساء. ثم يبين حالة جيش الأعداء، وهم تركوا المدينة دون جرح. أما في القسم الثالث، فيوضح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أسباب هذه الهزيمة، ويرى أعداء الكوفيين للفرار من الحرب سبباً رئيساً للهزيمة. ويشكو فيه عن أعمال الكوفيين وعصيانهم في القتال مع جيش معاوية. ويدافع عن نفسه في الرد على من يعرفه كشخص شجاع دون الإمام بالأمور الحربية، فيتحدث عن قدرته وزعامته في الحرب والقتال، حتى يتذكروا ما قام به الإمام علي (عليه السلام) زمن حياة النبي (ﷺ) في الغزوات المختلفة أمام المشركين. بما أن عدد الأفعال الكلامية في هذه الخطبة ٩١، فتوضيح كل منها يحتاج إلى كلام طويل، فنتحدث في هذا البحث عن بعض الأفعال الكلامية التي لها أهمية أكبر. وفيما يلي ترى الأفعال الكلامية بأنواعها المختلفة في الجدول.

### القسم الأول:

❖ «أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَّهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدَرَعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَقِيَّةُ».

انقسم هذا القسم إلى جزئين؛ أولاً: يبين الإمام المواصفات الإيجابية للجهاد، وإن أمر الشعب العراقي، وخاصة الكوفيين، أن يدافعوا عن وطنهم ويقاوموا أمام جنود معاوية، لم يجيبوا أمر إمامهم. مع هذا، يتحدث الإمام عن فضائل الجهاد أولاً، ويعرفه كباب من أبواب الجنة، فلا يعطي الله افتخار الحضور فيها إلا لأوليائه. بالنظر إلى ما قلنا تعتبر الأفعال الكلامية في الجزء الأول من الإخباريات، إذا نظرنا إليه دون الانتباه للسياق، فأما غرضها بالنظر إلى السياق فيعتبر من التوجيهات. وللحصول على المعنى علينا

الانتباه لموصفاتة في السياق، كما يرى يول<sup>1</sup> إن التداولية تهتم بدراسة أمرين وهما: معنى ألفاظ المتكلم والمعنى في السياق. والآخرون مثل فرس تشرن<sup>2</sup>، أيضاً، ينظرون إلى التداولية كعلم دراسة المعنى في السياق (Martinez-Flor & Uso-Juan, 2010, ص 5)، فالغرض المباشر لهذه الأفعال الكلامية هو الإخباريات، والأفضل أن نقول هذه الأفعال الكلامية من المعقدات، كما يرى سيرل، بما أن لها معنيين أو معان متعددة. فهذه الأفعال الكلامية في المرحلة الأولى تخبر عن ميزة للجهاد، وهي آثاره الحسنة، فتعتبر من الإخباريات. أما في المرحلة الثانية، فهي تريد أن تأمر المخاطبين وترغبهم في الجهاد، فتعتبر من الأمرات أو التوجيهات، فيختلف الغرض الحرفي والإنجازي، وإن لم يكونا متضادين فيمكننا أن نجمعهما مع البعض.

يرى الإمام علي (عليه السلام) الجهاد لباساً للتقوى. فاستخدمت عبارات في الأفعال الكلامية الثالثة والرابعة، وهي تناسب مع سياق الخطبة العام تناسباً تاماً. كما أن الدرع الحصينة تسبب صيانة المرء من مضرات الحرب، فالجهاد، أيضاً، درع إلهية، فمن تمسك به فيصان من الذلة حين غارات الأعداء. وإن تعتبر الأفعال الكلامية الثانية إلى الخامسة نحوياً حالاً لمفردة "الجهاد"، فترتبط بالفعل الكلامي الأول، إلا أنها تعتبر أفعالاً كلامية منفصلة عن الأول.

إن الغرض المباشر الحرفي لجميع الأفعال الكلامية في الجزء الأول هو الإخباري، لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) يرغب الناس ويشوقهم نحو الجهاد، وهذا هو الهدف الحقيقي للإمام (عليه السلام). فالغرض الإنجازي لها هو التوجيهي. والتعبير الفعلي لها هو التوصية. فاستخدم الإمام أفعالاً كلامية بغرض يخالف ما يعبر عنها، أي في التعبير هو الغرض الإخباري، لكن الغرض الذي يقصده أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو الغرض التوجيهي. ومن وجهة نظر سيرل يتجلى دور نظرية الأفعال الكلامية في تبين وتوضيح هذا الأمر أن المتكلم يرى في ذهنه نوعاً من الأفعال الكلامية، لكنه حين الكلام يستخدم نوعاً آخر منها. مع هذا، يدرك المخاطب أو السامع ما تكلم عنه المتكلم (Searl, 2001, ص 85).

❖ «فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تُوبَ الدُّلِّ وَشَمَلَةَ الْبَلَاءِ، وَدَيَّتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ، وَأَدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمَ الْخُسْفِ، وَمُنِعَ النَّصْفِ».

تحدث الإمام (عليه السلام) عن نتائج الجهاد الحسنة، وباستخدام "فاء" للنتيجة ينتقل إلى الجزء الثاني من القسم الأول، وهو الختام السيئ لترك الجهاد. وهذا القسم من الخطبة يشبه القسم الماضي من حيث الأغراض الحرفية والإنجازية والبسيطة والمعقدة إلا أن القسم الأول كان يتحدث عن فوائد القيام بالجهاد والقسم الثاني يبين عواقب الفرار من الجهاد؛ فالغرض الحرفي لجميع الأفعال الكلامية في هذا الجزء هو الإخباري أيضاً، لأنها تبين عواقب ترك الجهاد، أما الغرض الإنجازي أي غير المباشر هو التوجيهي والتعبيري، لأن الإمام من جهة يوبخ الناس الذين لم يتبعوا أمره، فيعتبر الغرض من التعبيرات، والفعل هو التوبيخ، ومن جهة أخرى ينذر الناس بالعاقبة الرهيبة لترك الجهاد، فيصير الفعل الكلامي توجيهياً، وفعله هو الإنذار، فتعتبر الأفعال الكلامية في هذا الجزء معقدة بما أن لها معان عديدة.

#### القسم الثاني:

❖ «أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا، وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغزَوْكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غَزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُمْرِ دَارِهِمْ إِلَّا دَلُّوا. فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَادَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ. وَهَذَا خُو غَاوِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ

1 . George Youl

2 .Verschueren

خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَائِهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَسْتِرْجَاعِ وَالْإِسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمًا، فَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ يَوْمًا، بَلْ كَانَ يَوْمًا عِنْدِي جَدِيرًا».

بإمكاننا أن نقسم هذا الجزء إلى ثلاثة أجزاء: فالجزء الأول يتحدث عن كيفية وقوع الحرب على مدينة الأنبار، والقصد هو الإخبار عما قام به جيوش معاوية، والغرض الثاني، وهو الأهم، توبيخ الكوفيين على إهمالهم. وإن يختلف الغرض الحرفي للكثير من هذه الأفعال الكلامية عن الغرض الإنجازي، لكن الغرض التعبيري هو الغرض الذي يلازم جميع الأفعال الكلامية في هذا الجزء، والفعل المناسب لهذا الغرض هو التوبيخ، مثلا، الغرض الحرفي للفعل الكلامي الأول هو الإخباري، كالأفعال الكلامية التي تتبين فيها طريقة شتمهم على الأراضى، فالغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو التعبيري، والفعل هو التوبيخ، فلا يحتاج إلى الذكر عدم تطابق الغرض الحرفي والإنجازي فيها.

﴿ يَا عَجَبًا عَجَبًا وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَجْلِبُ لَهُمُ اجْتِمَاعُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ. قُبْحًا لَكُمْ وَتَرْحًا حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُعْبِرُونَ، وَتُعَزَّوْنَ وَلَا تُعَزَّوْنَ، وَيُعَصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ. فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ: هَذِهِ حِمَارَةٌ الْقَيْظِ، أَمَهَلْنَا يُسَيِّحُ عَنَّا الْحَرُّ. وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ، أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ. كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ. فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ.﴾

ويختص الجزء الثاني من هذا القسم بتوبيخ الكوفيين مباشرة، وبين الإمام السبب الرئيسي لهذه الهزيمة. ويعود الأمر إلى أعذارهم في الفصول المختلفة. وفي هذا القسم من الجزء الثالث، استخدمت الأفعال الكلامية بغرضهم الإنجازي الرئيسي في الخطبة، وهو التعبيري بفعل التوبيخ، فإيراعي الإمام في توبيخ الكوفيين ترتيب الكلام عند التوبيخ، فهو عالم بنفسية البشر وبما طبعوا عليه. في البداية يتكلم عن الموصفات الإيجابية للجهد، ثم يذكر العقوبات التي تنتظر الناس لعدم تمسكهم بالجهد حين شن الغارات على الوطن، ثم يأتي بالكلام عن كيفية وقوع الحرب وسبب الهزيمة فيها، وفي الجزء الأخير، وهو الرابع، يتكلم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عما رأى زمن خلافته وحكومته عليهم، ويشكو عنهم:

﴿ يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ، حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رِبَاتِ النِّجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرُكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ. مَعْرِفَةٌ وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا. قَاتَلْتُكُمْ اللَّهُ، لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي نُعْبَ الثُّهَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى لَقَدْ قَرَيْشُنْ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ. لِلَّهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي؟ لَقَدْ تَهَضَّتْ فِيهَا وَمَا بَلَغَتْ الْعِشْرِينَ، وَهِيَ أَنَا ذَا قَدْ ذُرْفَتْ عَلَى السَّيْنِ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ.﴾

في هذا الجزء يشتد شكوى الإمام (عليه السلام) عن الكوفيين بالنسبة لما قيل في الجزء قبله، ويدافع عن نفسه في الحديث عن قدراته للحرب والقتال. وغريب ما قالت قريش عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وإن كانوا يعرفون أنه حضر في غزوات بدر، وخيبر، والخندق عند النبي (ﷺ)، وقتل بعض أبطال المشركين، كما أنه شارك في غزوة بني النضير، وغزوة بني المصطلق، وغزوة وادي القرى، وغزوة الطائف، فهو الذي يقول عنه ابن أبي الحديد: «بدر الكبرى التي قتل فيها سبعون من المشركين، قتل علي نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر، وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتأريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك، دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما» (القرظيني، ١٩٧١هـ، ص ١١١)، وشجاعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وبصيرته بالحرب

أمر واضح لمن يعرفه. ومن الأخبار التي نقلت عن إمامه بالشؤون الحربية فتح الحصن في غزوة خيبر: بعد أن أبابكر وعمر بن الخطاب لم يقدر على فتح الحصن في غزوة خيبر، وفي المعركة مع اليهوديين، دعا النبي الأكرم (ﷺ) إليه علي بن أبي طالب، وقال له: خذ هذه الراية فتح الله عليك. والإمام كما كان يدعو الأعداء إلى الإسلام حين الحرب، فدعاهم أولاً إلى الإسلام لعلهم يستجيبون، ولكنهم سخروا به. وعن باب خيبر نقل ما قال الطبري: «لما دنا من الحصن فخرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطاح ترسه من يده، فتناول علي بابا كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، وقد اجتهد ثمانية أنفار على أن يقلبوا ذلك الباب فلم يقلبوه» (مغنية، منقول من عبدالرحمن الشراقي، ١٩٨١م، ص ١١٧).

تعتبر بعض هذه الأفعال أفعالاً بسيطة، بما أن الغرض الحرفي والإنجازي لا يختلفان، كما نراها في الجدول، إنها تشتمل على أفعال مثل "لقد ملأتم قلبي قبحاً"، و"وشحتم صدري غيظاً"، و"وجرّعتُموني نغب التهام أنفاساً"، و"وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان"، فغرضها الحرفي هو التعبيري، كما غرضها الإنجازي هو التعبيري، فتعتبر من نوع البسيطة، لأن غرضها الحرفي لا يختلف عن غرضها الإنجازي. أما البقية من الأفعال في هذا الجزء، فتعتبر معقدة، مثل "وهل أحد منهم أشد لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني؟"، فغرضها الحرفي هو التوجيهي إذ إنه يسأل سؤالاً، لكن الإمام علي (عليه السلام) يقصد غرضاً آخر، كما ينوي الاستفهام، وليس للناس رد على هذا السؤال، فهو استفهام إنكاري. من الأغراض الأخرى لهذا الفعل الكلامي هو التعبيري، فهو يشكو عما يعبرها الناس عن مواصفات الإمام علي (عليه السلام) في الحرب والقيادة. وفي هذا الجزء ليس للأفعال الكلامية غرض إلا التعبيري بفعل التوبيخ أو أحيانا الغرض الإخباري بفعل التبيين، فيمكنك مشاهدة الغرض الحرفي والتعبيري للأفعال الكلامية في الجدول التالي:

الفعل الكلامي	الغرض الحرفي	الغرض الإنجازي	الفعل للغرض الإنجازي
أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ،	الإخباري	الإخباري - التوجيهي	التوصية
فَتَحَهُ اللَّهُ لِمَا خَصَّ أَوْلِيَاءِهِ	الإخباري	الإخباري - التوجيهي	التوصية
وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى	الإخباري	الإخباري - التوجيهي	التوصية
وَدَرَعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ	الإخباري	الإخباري - التوجيهي	التوصية
وَجَنَّتُهُ الْوَيْفَقَةُ	الإخباري	الإخباري - التوجيهي	التوصية
فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثُوبَ الدَّلِّ وَسَمَلَةَ الْبَلَاءِ	الإخباري	الإخباري - التعبيري - التوجيهي	التوبيخ - الإنذار
وَدُيْتُ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ	الإخباري	الإخباري - التعبيري - التوجيهي	التوبيخ - الإنذار
وَضُرِبَ عَلَيَّ قَلْبِي بِالْإِسْهَابِ	الإخباري	الإخباري - التعبيري - التوجيهي	التوبيخ - الإنذار

١. في المقالات التي كتبت بالفارسية، وذكرنا البعض منها في خلفية البحث، اعتبر حرف الفاء وأدوات مثل بل، لكن، حتي، إن، وألا من الأفعال الكلامية، لكن اعتبارها من الأدوات اللغوية ودرجات التوكيد من نوع الروابط الحجاجية أدق وأفضل، كما جاء في الكتب عن التداولية والحجاجية العربية المختلفة (ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ص ٥٠٨).

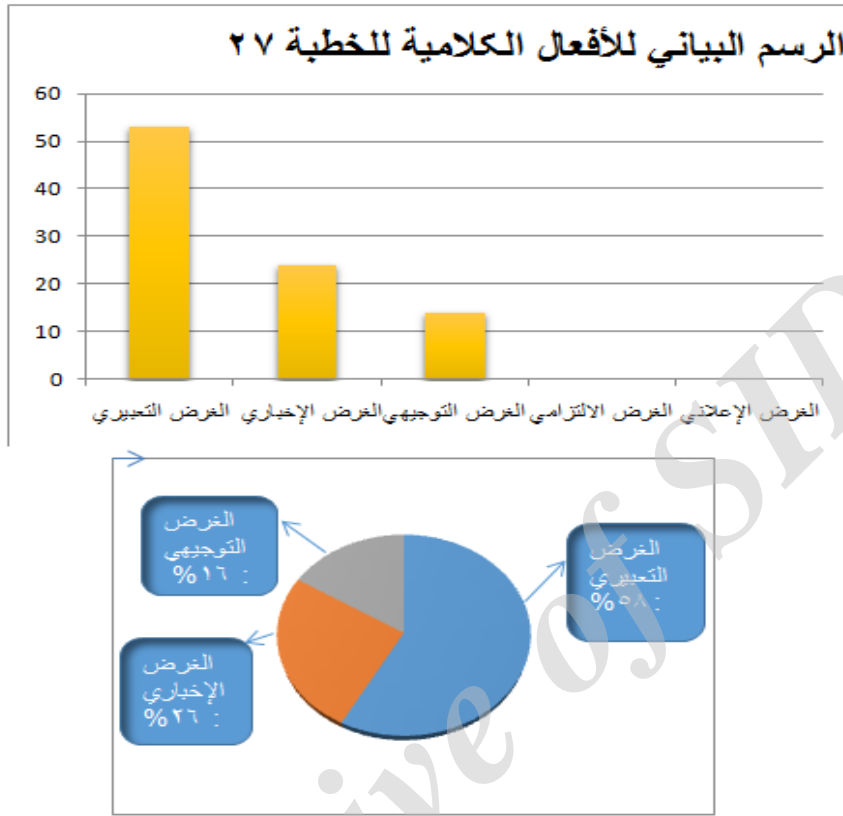
وَأَدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ	الإخباري	الإخباري - التعبيري - التوجيهي	التوبيخ - الإنذار
وَسِيمَ الْخُسْفَ	الإخباري	الإخباري - التعبيري - التوجيهي	التوبيخ - الإنذار
وَمُنِعَ النَّصْفَ.	الإخباري	الإخباري - التعبيري - التوجيهي	التوبيخ - الإنذار
❖ أَلَا وَآيِي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا، وَإِعْلَانًا	الإخباري	التعبيري	التوبيخ
وَقُلْتُ لَكُمْ: اغزؤهم قبل أن يغزؤكم	التوجيهي	التعبيري	التوبيخ
فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا دَلُّوا	الإخباري - الالتزامي	الإخباري - التعبيري - التوجيهي	التوبيخ - الإنذار
فَتَوَاكَلْتُمْ	الإخباري	التعبيري	التوبيخ والهجو
وَتَخَادَلْتُمْ	الإخباري	التعبيري	التوبيخ والهجو
حَتَّى شَتَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ	الإخباري	التعبيري	التوبيخ والهجو
وَمُلِكْتَ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانَ	الإخباري	التعبيري	التوبيخ والهجو
وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ	الإخباري	الإخباري - التعبيري	التبيين - التأسف والتوبيخ
وَقَدْ قَتَلَ حَسَانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ	الإخباري	الإخباري - التعبيري	التبيين - التأسف والتوبيخ
وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَاحِجِهَا	الإخباري	الإخباري - التعبيري	التبيين - التأسف والتوبيخ
وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى	الإخباري	الإخباري - التعبيري	التبيين - التأسف والتوبيخ
فَيَتَرَعُّ حِجْلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَائِهَا	الإخباري	الإخباري - التعبيري	التبيين - التأسف والتوبيخ
مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَسْتِرْجَاعِ وَالْأَسْتِرْحَامِ	الإخباري	الإخباري - التعبيري	التبيين - التأسف والتوبيخ
ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ	الإخباري	الإخباري - التعبيري	التبيين - التأسف والتوبيخ
مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ	الإخباري	الإخباري - التعبيري	التبيين - التأسف والتوبيخ
وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ	الإخباري	الإخباري - التعبيري	التبيين - التأسف والتوبيخ
فَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا	الإخباري	التعبيري - التوجيهي	التوبيخ
بَلْ كَانَ يَوْمَ عُنْدِي جَدِيرًا	الإخباري	التعبيري - التوجيهي	التوبيخ
فِيَا عَجَبًا عَجَبًا!	التعبيري	التعبيري	التعجب - التوبيخ
وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَجْلِبُ لَهُمُ اجْتِمَاعُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ (الفاعلان الكلاميان)	الإخباري - الالتزامي	التعبيري - التعبيري	التوبيخ - التأسف
فَقُبِحًا لَكُمْ وَتَرَحًّا حِينَ صَرْتُمْ غَرَضًا يَرْمَى	التعبيري	التعبيري	التوبيخ - الهجو
يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيَّرُونَ	الإخباري	التعبيري	التوبيخ - الهجو
وَتُغَزَوْنَ وَلَا تُغَزَوْنَ	الإخباري	التعبيري	التوبيخ - الهجو
وَيُعْصَى اللَّهُ وَلَا تُرْضَوْنَ	الإخباري	التعبيري	التوبيخ - الهجو

التوبيخ	التعبيري	الإخباري	فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ، أَمَهَلْنَا يُسْبِخُ عَنَّا الْحَرُّ
التوبيخ	التعبيري	الإخباري	وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ، أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبُرْدُ
التبيين - التوبيخ	التعبيري	الإخباري	كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ
التوبيخ - الهجو	التعبيري	الإخباري - الالتزامي	فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفْرُونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفْرُ
الهجو	التعبيري	الإخباري	يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالٍ،
الهجو	التعبيري	الإخباري	حُلُومِ الْأَطْفَالِ
الهجو	التعبيري	الإخباري	وَعُقُولِ رِيَابِ الْجِبَالِ
التأسف - الهجو	التعبيري - التعبيري	- التعبيري	لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرُكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ (الفعالان الكلاميان)
التأسف - الهجو	التعبيري	الإخباري - الالتزامي	مَعْرِفَةَ وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا
التأسف - الهجو	التعبيري	الإخباري	وَأَعْقَبْتُ سَدَمًا
الهجو - اللعن	التعبيري	الإخباري	قَاتَلَكُمْ اللَّهُ
التوبيخ - التأسف	التعبيري	التعبيري	لَقَدْ مَلَأْتُ قَلْبِي فَيْحًا
التوبيخ - التأسف	التعبيري	التعبيري	وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا
التوبيخ - التأسف	التعبيري	التعبيري	وَجَرَعْتُمُونِي نُعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا
التوبيخ - التأسف	التعبيري	التعبيري	وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصْبِيَانِ وَالْخِذْلَانِ
التبيين - التأسف والشكوى	الإخباري - التعبيري	الإخباري	حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ فَرِيشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ
الهجو والشكوى	التعبيري	التعبيري	لِلَّهِ أَبُوهُمْ
المدح والشكوى - الاستفهام	التعبيري - التوجيهي	التوجيهي	وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا
المدح والشكوى - الاستفهام	التعبيري - التوجيهي	التوجيهي	وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي؟
المدح	الإخباري - التعبيري	الإخباري	لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ
المدح	الإخباري - التعبيري	الإخباري	وَهَا أَنَا ذَا قَدْ دَرَفْتُ عَلَى السِّتِينَ
التأسف	التعبيري	الإخباري	وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ

عدد الأفعال الكلامية في هذه الخطبة هو ٩١. واحتسب بالنظر إلى الغرض الإنجازي للفعل الكلامي، فلم ننظر إلى الغرض الحرفي في هذا الاحتساب، وأيضا، إذا كان لفعل كلامي غرضان فاحتسب مرتين وفقا لغرضيه. ولم يستخدم الغرضان الإعلامي والالتزامي في الخطبة، ولو مرة واحدة. اختص الحد الأقصى بالغرض التعبيري، وهو ٥٣ عددا، أي ٥٨ في المائة. والمكان الثاني

١. هذا الفعل الكلامي يحتوي على القسم، إلا أن السياق يدلنا على أن هذا القسم لم يستخدم للالتزام بشيء أو عمل، فليس الغرض الإنجازي التزاميا.

للغرض الإخباري بعدد ٢٤ مع ٢٦ في المائة، وجلس الغرض التوجيهي في المكان الثالث بعدد ١٤ مع ١٦ في المائة. يمكنك مشاهدة عدد هذه الأغراض في الرسم البياني:



#### تحليل الأعداد المذكورة للأغراض الإنجازية

إن الأفعال الكلامية في غالبيتها معقدة، أي للفعل الكلامي أغراض متعددة. عدد الأفعال الكلامية التي تدل على غرض واحد، أي بسيطة، ٢٤ عدداً، و ٢٦ في المائة من جميع الأفعال، والبقية من الأفعال الكلامية من نوع المعقدة، أي ٧٦ فعلاً كلامياً و ٧٤ في المائة. إن الأفعال الكلامية التي يطابق الغرض الحرفي فيها الغرض الإنجازي قليلة، وهي ٧ أفعال، أي ٧ في المائة من بين جميعها. وتختلف البقية من الأفعال الكلامية - أي ٨٤ عدداً - عن القسم الأول، ولا يطابق الغرض الإنجازي فيها الغرض الحرفي، أو لها عدة أغراض، فبعضها لا يطابق الغرض الحرفي، أي ٩٣ في المائة من جميع الأفعال الكلامية.

وما قلنا عن عدد الأفعال الكلامية في نوعي المعقدة والبسيطة، وتطابق الغرض الحرفي على الغرض الإنجازي أو عدم تطابقها، يدل على أن الإمام تكلم في هذه الخطبة شاكياً عن الناس أو مبيناً فوائد الجهاد أو نتيجة عدم المشاركة فيه، إلا أنه يقصد إلى أكبر تأثير على الناس وإرشادهم نحو الطريق الصحيح، وهو الجهاد. فلا يهدف الإمام إلى الشكوى فحسب، وهذا لا يناسب مع شخصية أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي لم يتحدث عن حقه طوال ٢٥ سنة، إذ كان هدفه حفظ دين الإسلام؛ الحق الذي بينه النبي (ﷺ) مرات عديدة بطرق مختلفة. فكيف يمكن أنه يشكو عن إهمال الناس في الجهاد والدفاع عن الوطن دون أن يقصد إرشادهم؟!



واستخدم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في هذه الخطبة الغرض التعبيري أكثر من البقية، وقد اختص أكثر من نصف الأفعال الكلامية بهذا الغرض. إذا نظرنا إلى خطب الإمام في أزمنة أخرى فنرى أن هذا الرقم يختلف، مثلاً، في الخطبة ٥١ من نهج البلاغة، وزمن هذه الخطبة هو زمن الحرب، استخدم الإمام الغرض التعبيري ١٤ في المائة (فضائي ونگارش، ١٣٩٠، ص ٨٦). فما هو السبب لهذا الرقم الكبير في هذه الخطبة؟ نعلم أن معاوية هاجم على بلاد المسلمين طوال خلافة الإمام علي (عليه السلام)، وفي بعض الخطب مثل خطب رقم (٢٩، ٣٤، ١١٨، ١٨١) يأمر الناس ويشجعهم على القتال معه، والدفاع عن وطنهم، وأيضاً يشكو فيها عن إهمالهم في إطاعة أمره. أما الكوفيون فلم ينتبهوا بأمر إمامهم، كما هو جدير به، بل مرات عديدة أهملوا الأمر، ولم يتجهوا نحو الجهاد بأعداء مختلفة، فيرجع السبب لهذا الرقم الكبير إلى أمرين: الأول بيان هذه الخطبة بعد سماع خبر الهجوم على مدينة الأنبار والعدوان على الناس والنساء، دون أن يصاب العدو بأي نوع من الكلم، أي بكل سهولة استطاعوا الغارة على الناس، والسبب الآخر هو عصيان الكوفيين عن أمر الإمام طوال مدة خلافته، فيشكو الإمام عن إهمالهم في الدفاع عن الوطن. ويختص قسم كبير من هذه الخطبة بشكوى الإمام عن خذلانهم.

ويخطر بالبال هذا السؤال: لماذا لم يستخدم الإمام الغرض التوجيهي، ورقم هذا الغرض في الخطبة هو ١٦ في المائة، لكي يأمر الناس ويوجههم نحو الجهاد؟ كما قلنا سابقاً، إن الإمام طوال خلافته، بإيراد خطب متعددة أمر الكوفيين بالنهوض أمام الأعداء، لكنهم لم يقوموا بواجبهم وهو إطاعة أمر الإمام، فردوا كلام الإمام بعصيانهم. فدخل العدو أراضي الأمة ومدنها، فلم يكونوا قادرين على المقاومة أمامهم، بما أنهم لم يكونوا يستعدوا للحرب. ففي هذه الظروف أفضل طريق لتشجيع الناس على الجهاد هو الشكوى لتوبيخهم على أعدائهم. وأثر استخدام الغرض التعبيري هو استيقاظهم من نوم الغفلة، فتراهم استعدوا للحرب والقتال مع معاوية، لكن بضربة عبدالرحمن بن ملجم بسيف مسموم على رأس أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في صلاة الفجر في مسجد الكوفة، استشهد ليلة ٢١ رمضان سنة ٤٠ هـ.

إن المكان الثاني في هذا الجدول للغرض الإخباري. وهذا الرقم يتعلق بالأفعال الكلامية التي يبين الإمام علي (عليه السلام) فيها فضائل الجهاد وعواقب عدم الشركة في هذا الأمر الهام للمجتمع الإسلامي. ونعلم أن هذه الأفعال الكلامية لم تأت دون غرض آخر، أي لم يكن يهدف الإمام (عليه السلام) إلى بيان مواصفات الجهاد وسبب وجوب مشاركة الناس فيه فحسب، بل لكل هذه الأفعال الكلامية أغراض أخرى مثل الأغراض التوجيهية أو العاطفية، والهدف الأخير، وهو الأهم بين كل هذه الأهداف، وهو التأثير على الناس حتى يشاركوا في الجهاد، فلم يستخدم الغرض الإخباري لبيان شيء والإخبار عن شيء فحسب.

### الخاتمة

تداول المقالة كيفية استخدام الأفعال الكلامية في الخطبة الـ ٢٧ من نهج البلاغة لتحليل معنى كلام قائلها، وهو أمير المؤمنين علي (عليه السلام). قبل بيان نتائج المقال من كمية استخدام الأفعال الكلامية وتحليلها، نذكر نقطة من ترتيب عال يراعيه الإمام في بيان الأفعال الكلامية لأجزاء الخطبة المختلفة: في البداية يتحدث الإمام علي (عليه السلام)، وهو أمير البيان والكلام، عن النتائج الإيجابية للمشاركة في الجهاد، ثم يأتي بالحديث عن عواقب ترك الجهاد للناس، ويختلف الغرض الإنجازي لكافة الأفعال الكلامية في الجزئين المذكورين عن أغراضها الحرفية. في المرحلة الثانية، نرى الحديث عن وصف كيفية وقوع الحرب، فبالمقارنة بين هذا القسم وبين القسم الماضي، نستنتج ازدياد الأغراض التعبيرية شيئاً فشيئاً، وهذا هو المهم في بيان أمر، ولا يقوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

بالشكوى عن الناس دون مقدمة. وفي النهاية، يشكو الإمام مباشرة عن الكوفيين وعدم إطاعة أوامره، فيستخدم الأفعال الكلامية بالغرض التعبيري، وفي قسم كبير منها تطابق الأغراض الإنجازية على الأغراض الحرفية. أما النتائج الأخرى عن كمية الأفعال الكلامية وتحليلها:

١. عدد الأفعال الكلامية في الخطبة هو ٩١ فعلا كلاميا. واحتسب الرقم بالنظر إلى الأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية لا الغرض الحرفي، إذ المهم في تحليل أغراض الأفعال الكلامية هو الغرض غير المباشر للمتكلم لا الغرض المباشر.
٢. يتطابق الغرض الإنجازي على الغرض الحرفي في ٧ أفعال كلامية، أي ٧ في المائة من الأفعال، ولا يتطابق الغرض الإنجازي على الغرض الحرفي في ٨٤ فعلا، أي ٩٣ في المائة. واستخدام اللغة غير المباشرة من العوامل التي تؤدي إلى تأثيرها أكثر فأكثر. فالإمام علي (عليه السلام) يأتي بالأفعال الكلامية بغرض ما، ويقصد شيئا آخر. وهذا هو طريق أهل الأدب والفن، حيث تمتاز هذه الفئة ببيان ما في ضميرهم عن طرق عديدة غير مباشرة. وتؤدي هذه النقطة إلى تفكر المخاطب أو القارئ بعد سماع القول أو قراءته، وجدّ المخاطب للحصول على المعنى هو الذي ينتهي إلى جمال الكلام أكثر من إدراك معنى الكلام البسيط الذي يصل المخاطب إليه دون أدنى جهود.
٣. رقم الأفعال الكلامية بغرض واحد، وهي الأفعال البسيطة، ٢٤ فعلا، أي ٢٦ في المائة من بين جميع الأفعال الكلامية. ورقم الأفعال الكلامية من نوع المعقدة هو ٧٦ فعلا، أي ٧٤ في المائة. إن الإمام علي (عليه السلام) لا يقصد شيئا واحدا من بيان فعل كلامي، بل إنه يعبر عما في قلبه، وهو يهدف إلى هداية الناس، فباستخدام فعل واحد يقصد أغراض متعددة. ومن الأسباب الأخرى لتعقيد غالبية الأفعال الكلامية في هذه الخطبة، الأهداف التربوية وتكلم عن هذا الأمر في النتيجة الرابعة.
٤. اختص الحد الأقصى بالغرض التعبيري، وهو ٥٣ عددا، أي ٥٨ في المائة. والمكان الثاني للغرض الإخباري برقم ٢٤ مع ٢٦ في المائة، واحتل الغرض التوجيهي المكان الثالث برقم ١٤ مع ١٦ في المائة. ولم يستخدم الغرض الإعلامي والغرض الالتزامي، ولو مرة واحدة. وإن استخدم الغرض التعبيري لبيان العواطف والأحاسيس، إلا أن الإمام علي (عليه السلام) بوصفه شخصية ممتازة في العالم لا يتحدث عن شكواه تجاه الناس الذين لم يشاركوا في الدفاع عن الوطن فحسب، بل له أهداف عالية، ومنها إيقاظهم من نوم الغفلة وإرشادهم نحو الجهاد. فالشكوى عن تلك الجماعة في ذلك السياق كان أفضل طريق لأمرهم وتوجيههم نحو وظيفتهم. وجدير بالذكر أن الإمام علي (عليه السلام) أمرهم مباشرة إلى الحرب مع الأعداء طوال خلافته، لكن الكوفيين هم الذين اشتهروا بعدم إطاعة أمر الإمام طول التاريخ. ففي هذه الظروف لا يستخدم الإمام علي (عليه السلام) أكثر من ١٦ في المائة من أفعاله الكلامية بالغرض التوجيهي، فالأمر إلى الجهاد مباشرة ليس صحيحا، ولا تتحقق النتيجة. أما الغرض الإخباري، فهو أيضا استخدم لبيان فضائل الجهاد وعواقب تركه، أو بعض الأخبار عن الهجوم الذي شُنَّ على الناس.



## المصادر والمراجع

### أ. العربية:

١. ابن ظافر الشهري، عبد الهادي. (٢٠٠٤ م). *إستراتيجيات الخطاب*. لبيي: دار الكتب الجديد المتحدة.

٢. البحيري، أسامة محمد ابراهيم. (١٤٢٢هـ). *انغلاق البنية وانفتاحها في النبوية والتداولية والبلاغة العربية*. د.م: ندوة الدراسات البلاغية. ص ٧٥٣ - ٨١٠.
٣. الحياي، عماد عبد يحيى. النجار، أشواق محمد اسماعيل. (٢٠٠٨م). *الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم*. مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية. م ١٥. عدد ١. ص ٦٢ - ١٠٨.
٤. سليمان عليان، يوسف. (١٤٣٢هـ). «البعث التداولي عند الأصوليين». *مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية*. عدد ٥٣. ص ٥٦ - ٧٥٤.
٥. القزويني، محمد الكاظم. (١٩٧١م). *علي من المهدي إلى اللحد*. ط ٢. بيروت: دار الصادق.
٦. مغنية، محمد جواد. (١٩٨١م). *فضائل الإمام علي*. بيروت: دار ومكتبة الهلال ودار الجواد.
٧. نور عوض، يوسف. (١٤٠١هـ). *علم النص ونظرية الترجمة*. مكة: دار الثقة للنشر والتوزيع.

#### ب. الفارسية:

٨. البرزي، پرويز. (١٣٨٦ ش). *مبانی زبان شناسی متن*. تهران: امیرکبیر.
٩. ایبرمز، ام. اچ. هرفم؛ و جفری گالت. (١٣٨٧ ش). *فرهنگ توصیفی اصطلاحات ادبی*. (مترجم سعید سبزیان). تهران: رهنما.
١٠. شهابی، سردار. (١٣٧٧ ش). «درآمدی به تحقیق و بررسی خطبه جهادیه». *مجله دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه تهران*. ص ٢٩٥ - ٣٢٣.
١١. صفوی، کورش. (١٣٩٢ ش). *معنی شناسی کاربرد*. چ ٢. تهران: انتشارات همشهری.
١٢. عبداللهی، محمد علی. (١٣٨٤ ش). «نظریه افعال گفتاری». *پژوهش های فلسفی کلامی*. شماره چهارم. قم. ص ٩١ - ١١٩.
١٣. فضائلی، مریم. نگارش، محمد. (١٣٩٠ ش). «تحلیل خطبه پنجاه و یکم نهج البلاغه بر اساس طبقه بندی سرل از کنش های گفتاری». *مطالعات اسلامی: علوم قرآن و حدیث*. ص ٨١ - ١١٨.
١٤. لاینز، جان. (١٣٩١ ش). *درآمدی بر معنی شناسی زبان*. (مترجم کورش صفوی). تهران: انتشارات علمی.
١٥. یارمحمدی، لطف الله. (١٣٩١ ش). *درآمدی به گفتمان شناسی*. تهران: هرمس.

#### ج. الإنجليزية:

10. Alicia Martinez-Flor, Esther Uso-Juan. (2010). *Speech Act Performance*. John Benjamins Publishing. USA.
11. Searl, *Essays in Speech Act Theory*. Vanderveken, Daniel & Kubo, Susumu. (2001). John Benjamins Publishing.
12. Vanderveken, Daniel & Kubo, Susumu. (2001). *Essays in Speech Act Theory*. John Benjamins Publishing. USA.

## بررسی خطبه جهاد نهج البلاغه بر اساس نظریه کنش گفتاری

انسویه طالبی\*

کاربردشناسی در مرحله تکامل خویش شاهد وجود دانشمندانی بزرگ چون آستین و سرل بود، به خصوص جان سرل که با بهره‌گیری از عناصر تحلیل گفتمان و تکمیل نظریه کنش‌های گفتاری آستین رویکرد تطبیقی کاملی را ارائه نمود. این جستار به بررسی خطبه جهاد نهج البلاغه از طریق تعیین کنش‌های گفتاری پنج‌گانه و اموری مانند میزان تکرار، مفاهیم مستقیم و غیر مستقیم آنها و بافت خطبه می‌پردازد و پس از ارائه آماری در موارد مذکور با در نظر گرفتن دو طرف گفتمان خطبه، تحلیل‌هایی را ارائه می‌دهد.

در میان آمار به دست آمده، میزان کنش‌های گفتاری با مفهوم غیر مستقیم، رقم بالای ۹۳ درصد را نشان می‌دهد. این امر بیانگر یکی از ویژگی‌های اهل ادب است، به گونه‌ای که به طور مستقیم از ما فی الضمیر خود سخن نمی‌گویند، بلکه روشی را برمی‌گزینند که به تفکر مخاطب بیانجامد. در این میان، بالاترین درصد متعلق به کنش عاطفی است، با توجه به بافت خطبه درمی‌یابیم امام (علیه‌السلام) از کوفیان به سبب سستی، عصیان امر مولای خویش، عدم شرکت در جهاد و جنگ با دشمن گله و شکایت می‌کند. کنش تعهدی و اعلامی در آخرین رتبه قرار می‌گیرد، به گونه‌ای که حتی یک بار در خطبه به کار نرفته است، زیرا امام علی (علیه‌السلام) در این خطبه به دنبال بیان تعهد خویش به موضوعی در برابر مردم نیست، همان‌طور که هدف ایشان از ایراد این خطبه بیان شرایط جدیدی نیست.

واژگان کلیدی: کاربردشناسی، کنش گفتاری، بافت، مفهوم، خطبه جهاد

\* دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه فردوسی مشهد.